الفصل الأول

مؤتمر
قمة الدار
البيضاء

إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي

طبيعة الصراع .. وطبيعة التهديدات

المبحث الأول : المتغيرات وطبيعة الصراع

المبحث الثاني : طبيعة التهديدات

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

المتغيرات .. وطبيعة الصراع

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع :

واجتمع الرؤساء والملوك والسلاطين والأمراء والشيوخ، وتمت المصالحات لخلافات استغرقت أكثر من عشرة أعوام، واتفق الجميع على إنهاء فترة التفكك العربى، فهل تذكّر هؤلاء القادة حقيقة المأساة التى تعيشها هذه الأمة العربية منذ أربعين عامًا؟

طُرحت على بساط البحث أربعة مشاكل:

أولا ـ عودة مصر إلى الصف العربى، وعودة الأمة العربية إلى أحضان مصر.

ثانيا ـ موقع المنظمات الإقليمية الجديدة من التنظيم الأم؛ الذى فشل حتى الآن فى أن يؤدى وظيفته وهو جامعة الدول العربية.

ثالثا ـ مشكلة التعامل مع المنظمات الدولية الجديدة، وبصفة خاصة منظمة السوق المشتركة، والتى سوف تتحول خلال فترة قصيرة إلى واقع سياسى له أبعاده فى المنطقة.

رابعا ـ موقف الأمة العربية من منطق التعامل الدولى الجديد.

ولكن إلى جوار هذه المشاكل التى كانت فى ذهن القادة العرب، والتى لم يجرؤ أحد على التصدى الحقيقى لها، وإنما كانت تعلنه وثائق هذه اللقاءات التى نُشرت، والأخبار التى تداولتها الصحافة العربية والعالمية، كانت هناك أربعة مشاكل أخرى تشغل بال الحاضرين:

أ ـ المشكلة الفلسطينية أو بعبارة أدق: مشكلة الانتفاضة، وكيف يمكن مساندة هذا الجزء الباسل من الشعب العربى.

ب ـ المشكلة اللبنانية وما تعنيه من مخاطر، ليس فقط على الشعب اللبنانى، بل على الأمة العربية.

جـ ـ مشكلة الصراع حول الخليج أو حرب الخليج وما تعنيه من أنه لا تزال هناك قنابل موقوتة قابلة للانفجار.

د ـ مشكلة الصراع بين جناحى حزب البعث فى بغداد ودمشق، الذى تحول إلى شبه صراع مسلح على أرض لبنان.

لا نريد أن نُقيّم هذا اللقاء، ولا نريد أن نتابع متغيراته من حيث النجاح والفشل.

ولكن هل يحق لنا أن نطرح سؤالاً أساسيًا، وهو محور جميع هذه التفاعلات التى نشهدها فى المنطقة.

أين هذا اللقاء من مشكلة إدارة الصراع العربى الإسرائيلى؟، المشكلة الحقيقية التى كان يجب أن تبرز واضحة فى ذهن القيادات العربية المسؤولة، تدور حول موضوع واحد وأساسى: كيف نتعامل مع الوجود العبرى فى صراعنا القادم؟

لقد قلنا وأعلنا فى أكثر من موضع واحد وصرخنا فى أكثر من مناسبة بأن محور جميع مشاكل المنطقة هو الوجود الإسرائيلى، وأن هذا يجب أن يواجه بشجاعة وبمقدرة وجدية. ومعنى ذلك حقائق أساسية:

أولا ـ فهم حقيقة هذا الصراع.

ثانيا ـ تكتيل جميع القوى العربية لمواجهة هذا الصراع.

ثالثا ـ اتخاذ موقف واضح من عملية إدارة الصراع.

هذه العناصر الثلاث لم يُقدّر لها حتى اليوم التعامل الفكرى الحقيقى، وبصفة خاصة الناحية الثالثة، بل إن قياداتنا حتى اليوم ـ كما يبدو من تصريحاتهم وأحاديثهم ومواقفهم ـ لم تفهم معنى ذلك. ولماذا نذهب بعيدًا؟ نقرر ومن موقع المسؤولية أنه فى جميع الأماكن العلمية التى قُدر لنا أن نتعامل معها ـ فى دمشق وبغداد وطرابلس والرباط والقاهرة ـ فإن صورة واضحة لما تعنيه هذه الكلمات ليس لها موضع. لا نريد أن نناقش أسباب ذلك ولا نريد المسؤولية وموقعها، **ولكننا سوف نقدم هذه الصفحات هدية لكل من يريد أن يفهم العناصر الأولية فى هذا الإطار للتحليل ـ إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى.**

وحتى يكون موقفنا واضحًا نقدم بعناصر ثلاث يجب أن يعيها جيدًا القارئ منذ البداية:

أول هذه العناصر : أننا لا نناقش فى هذه الصفحات المشكلة اليهودية. إن الذى يعنينا هو إسرائيل والصهيونية، إسرائيل كدولة توسعيّة، تقوم على أساس فكرة إسرائيل الكبرى ـ كمعقل للصهيونية ـ حيث تسعى لتجميع يهود العالم من جانب، وحلمها هو الهيمنة على المنطقة من جانب آخر، هذا المفهوم لم يعد مجرد كلمة تُطلق، بل إنه مخطط يسود الفكر القيادى فى «تل أبيب»، ولعل ما قاله بهذا الخصوص وزير الخارجية الأمريكى خير دليل لإثباته: إن هذا الحلم بدأ يُقلق نفس القيادات الأوربية الصديقة، بما فى ذلك الرئيس الفرنسى «ميتران»، نحن لسنا ضد قضية حق اليهودى فى أن يعيش فى أى مكان، مع

احترام حقوقه كأفراد أو أقليات حتى فى داخل الوطن العربى.

العنصر الثانى : فى هذا الإطار ـ وهو المتعلق بمصير إسرائيل، نحن لا نثير بهذا الخصوص عملية الاستئصال العضوى لإسرائيل كدولة قومية. ليس هذا ما نطرحه ونحن فى هذه الصفحات لا نعلن موقفنا بخصوص هذا الكيان، ولكن ذلك الذى نعلنه ونؤمن به هو ضرورة استئصال التوجه الصهيونى من إسرائيل، يجب أن تتحول إسرائيل إلى جسد يعكس ما يُعبر عنه الشرق الأوسط من خصائص، وليس أن تحيل إسرائيل الشرق الأوسط إلى ما يتفق مع أهدافها.

العنصر الثالث : والذى يجب أن تفهمه القيادات جيداً أن إدارة الصراع العربى ـ الإسرائيلى تملك أساليب متعددة، أسلوب الصدام العنيف، أى القتال المسلح، ليس سوى أحد هذه الأساليب. هناك أيضاً أسلوب الصدام من خلال التعامل الدبلوماسى، أو بعبارة أدق: التفاوض، بهذا المعنى يجب أن نفهم سياسة الرئيس السادات عقب اتفاقية فك الاشتباك الثانى ـ مما لا شك فيه أنه قد أخفق فى ذلك، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك منطلقات فكرية معينة لهذا التعامل. لقد أخفق الرئيس السادات، ولذلك قاومناه وتحملنا حياة المنفى خلال قرابة ثمانية أعوام؛ لأنه لم يفهم معنى ولا كيفية إدارة الصراع بهذا المعنى. والواقع أن علينا أن نعترف بأننا أخفقنا عام 1973 فى قيادة الصراع من منطلق مفهوم التعامل العضوى والعسكرى، ثم أخفقنا فى عام 1977 عندما انطلقنا فى إدارة الصراع بالاستناد فقط إلى إدارة التعامل الدبلوماسى. وما يحدث اليوم هو أننا فى طريقنا لتجديد نفس الأخطاء مع فارق أساسى: الشعب العربى لن يسمح ولن يغفر الأخطاء القادمة، إنه لن يقف صامتاً أمام قياداته وهى تتلاعب بمصيره. الثورة قادمة وهى لن تتردد فى أن تكتسح كل من لم يعرف كيف يحترم مصالحها.

هذه الحقائق المختلفة نطرحها منذ البداية، وسوف نعود لتفصيلها أكثر، ولكن ليكون الإدراك بذلك الذى نسجله واضحاً ودقيقاً.

أى دراسة للصراع ـ بقصد التعامل مع ذلك الصراع بإدارته من أحد الأطراف المتعاملة ـ تفرض الإلمام المسبق بمجموعة عناصر:

أولا ـ طبيعة وخصائص الصراع.

ثانيا ـ دوائر الصراع.

ثالثا ـ الأطراف المتعاملة فى الصراع.

رابعا ـ القيم المتحكمة فى سلوكيات الطرف المتعامل.

نتابع هذه الجزئيات التى تمثل المقدمات الأساسية لإمكانية بناء إطار واضح لعملية إدارة هذا الصراع من الجانب العربى.

طبيعة وخصائص الصراع العربى ـ الإسرائيلى :

يمكن القول بصفة عامة : إن الصراع العربى ـ الإسرائيلى يتميز بست خصائص تضفى عليه مذاقًا متميزًا بين الصراعات المعاصرة، وتسمح بالفهم الواضح لطبيعة هذا الصراع:

أولا ـ هو صراع لا يحتمل التوفيق.

ثانيا ـ وهو صراع تسيطر عليه النواحى العاطفية.

ثالثا ـ وهو صراع لا يعكس حقيقة القوى المتعاملة.

رابعا ـ وهو صراع غير متكافئ الأطراف.

خامسا ـ وهو صراع مركب، بمعنى أنه متعدد العناصر.

سادسا ـ وهو صراع متعدد الدوائر، ومن ثم متعدد الأطراف المتعاملة، تبعًا لكل دائرة.

فهم هذه العناصر الستة يسمح لنا من جانب بفهم حدود وإمكانية القياس بعد التعامل مع هذا الصراع، بمعنى نقل خبرة الصراعات الأخرى أيضًا فى تلك الدائرة. وهو يسمح بفهم طبيعة هذا الصراع، وهو كذلك يسمح لنا بفهم موقف مصر الحقيقى من هذا الصراع.

متابعة هذه العناصر يسمح لنا بعبارة أخرى بفهم القيود التى يجب أن نعترف بها على الحركة العربية فى إدارة الصراع.

الصراع العربى ـ الإسرائيلى لا يحتمل ولا يقبل التوفيق :

أول هذه العناصر : أن هذا الصراع لا يحتمل التوفيق. أو كما نعبر عنه فى لغتنا الدارجة بأنه صراع مصيرى، يقصد بذلك أن موضوع الصراع لا يحتمل التجزئة، فهو يفرض واحد ـ من اثنين لا ثالث لهما: إما أخذ الكل أو ترك الكل.

موضوع الصراع لا يقبل القسمة سوف نرى أن أحد عناصر هذا الصراع، بل ومحوره الحقيقى، هو أن الأرض التى تقوم عليها إسرائيل هى أرض عربية، وهى فى لغة أكثر شيوعًا «أرض فلسطينية» ومحور الصراع الحقيقى: هل هذه الأرض تنتمى إلى الشعب الفلسطينى؟ أم أنها تنتمى إلى إسرائيل؟ هذا الانتماء لا يمكن أن يتجزأ أو يتعدد. إنه واحد.

ولعل من المفيد أن نعيد بهذا الخصوص القارئ إلى أبسط مبادئ التعامل التفاوضى ـ كما نُدرِّسها لطلبتنا. حدث خلاف بين امرأتين حول طفل كل منهما تزعم أنه ابنها، ولم تستطع أى منهما أن تثبت ذلك سوى بأقوالها، ذهبت المرأتان إلى سليمان الحكيم، وعقب

أن استمع إليهما، صمت قليلاً، ثم أضاف: ليس أمامي سوى أن أشطر الطفل إلى نصفين، وأعطى كل أم نصف الطفل، فهبت إحدى الحاضرتين صارخة: كلا، لا أريد، فنظر إليها سليمان الحكيم طويلاً، ثم قال: إذن فليكن لك هذا الطفل.

هكذا هناك صراعات لا تحتمل التوفيق، على أننا نسرع فنذكر بأن هذا لا يعنى أننا نرفض المحاورة والمناورة من خلال موضوع المؤتمر الدولى. إنه وسيلة لإضعاف الطرف الآخر. قواعد التعامل الدولى بهذا الخصوص معروفة ومتداولة وهى ثلاثة، على الطرف الضعيف أن يستغل أى تحرك أو خطوة تؤدى إلى إضعاف الطرف الآخر أولاً، ثم عليه من جانب آخر أن يجعل أحد محاوره فى التعامل دائمًا تحديد إرادة الطرف الآخر، بحيث يُحيطه بالكثير من الشك فى أهدافه وقدراته ثانيًا، ولكن عليه أن يواصل استعداده وتقوية ذاته بجميع الأدوات والوسائل منتظرًا اللحظة المناسبة، ليضرب ضربته القاضية ثالثًا. العالم العربى هو ـ مؤقتًا ـ الطرف الضعيف، وعلى **قياداته أن تعلم أنه لابد فى الأمد البعيد، من منازلة إسرائيل فى ميدان القتال العضوى. بل إن إسرائيل نفسها تعد لذلك وسوف تبدؤنا هى بالحرب، وسوف يرى القارئ الوثائق الدامغة بهذا الخصوص، وكيف أن القيادات الجديدة فى تل أبيب، تعد لحربها فى فترة لن تتجاوز عام** 1995(*).

ولكن بغض النظر عن ذلك، فإن الذى يجب أن تفهمه قياداتنا أن تقوية الجيوش العربية ليس فقط لشن حرب قادمة، بل إنه أيضًا لمنع إسرائيل من أن تقدم على حرب جديدة. لقد خرجت علينا مجلة «أكتوبر» منذ عدة أيام تتساءل. لماذا التسليح العربى؟ على لسان أحد أولئك الذين قبلوا وسعدوا بالتعامل المباشر مع السلطات الصهيونية، ولا يزالون على عدم وعيهم، بل وأخشى أن أقول: إن هذه القيادات الصهيونية قد استطاعت أن تغسل عقولهم، وتحيلهم إلى أداة صماء لخدمة «تل أبيب» وأنصار «تل أبيب».

الصراع العربى ـ الإسرائيلى... وحقيقة الأطراف المتعاملة :

فى كل صراع هناك أطراف متعاملة، وخلف كل منها توجد أطراف أخرى تساند أو تدعم أو تقوى موقف الطرف المتعامل.

أول ما نلاحظه على هذه الأطراف المتعاملة المباشرة ـ ونقصد بذلك الطرف العربى من جانب، والطرف الإسرائيلى أو الصهيونى من جانب آخر، كيف تسود كلاً منهما شحنة

(*) كون أن الحرب لم تقع عام 1995، لا يعنى أن العدو قد تخلى عن أهدافه بإشغال المنطقة فى حروب لتمزيقها إلى كانتونات، وإقامة الدولة اليهودية بحدودها التوراتية، مع ملاحظة أن الكاتب ـ رحمه الله ـ قال فى موضع آخر [حول عام 1995] وكلمة حول فى معاجم اللغة تعنى التقديم أو التأخير.. والله أعلم.

انفعالية. ليس فقط الجانب الإسرائيلى بما يتصل بالوعد الإلهى[1] وعمليات التعذيب(*) المتعددة التى خضع لها المجتمع اليهودى فى أوربا، وخلال قرون متعاقبة، بل وكذلك من الجانب العربى، حيث شعب شُرِّد أكثر من نصف قرن، وطُرِدَ من أرضه بحجة حماية شعب آخر مهما قيل عنه، فهو مغتصب لأرض آخرين. وليس أدل على هذه الحقيقة من القراءة المتأنية للخطابين[2] اللذين تبادلهما كل من «مناحيم بيجن» والرئيس «السادات» فى زيارته المشهورة لمدينة القدس.

كذلك فإن الصراع يقدم إحدى الخصائص التى لا نجدها فى أى نموذج آخر من نماذج الصراع التى تعيشها الأسرة الدولية المعاصرة؛ ذلك أن هذا الصراع العربى ـ الإسرائيلى لا يُعبر عن حقيقة القوى الذاتية المتصارعة، الصراع فى جوهره هو بين المجتمع الإسرائيلى من جانب والمجتمع العربى من جانب آخر ـ بهذا المعنى ـ هو بين قوتين غير متكافئتين، ولصالح الجانب العربى كمًا، بل وكيفًا، ويكفى أن نذكر بهذا الخصوص الناحية الاستراتيجية، فالأرض التى تعيش عليها إسرائيل لم تكن طيلة تاريخ الإنسانية مصدرًا لقلاقل، إنها تخضع لجوارها، فإما أن يطأها أهل وادى النيل فى خروجهم وتوجههم شرقًا أو شمالاً، وإما يغتالها الكلاب القادمة من الشرق فى طريقها إلى الدلتا الغنية بقدراتها. ولكن الواقع أن هذه المعادلة قد انقلبت، فإذا بعدم التكافؤ يصير لصالح الدولة الدخيلة فى المنطقة، والسبب فى ذلك يعود إلى ثلاثة متغيرات:

المتغير الأول : أن هناك قوى من خارج المنطقة تعمل لحساب إسرائيل، فالقدرة الأمريكية والدبلوماسية الغربية الصهيونية العالمية جميعها تخدم «تل أبيب»، وتضع كل قدراتها فى الجانب اليهودى.

المتغير الثانى : أن القوى العربية غير متماسكة وغير متساندة فى الصراع ضد إسرائيل، **بل هناك من القوى العربية من يعمل لصالح إسرائيل**، الرجعية العربية والحركات الطائفية، بل وكثير من القوى الجديدة تارة بوعى، وتارة دون وعى حقيقى.

المتغير الثالث: هذا الاختلاف هو أكثر وضوحًا فى العلاقة بين القيادات الإسرائيلية من جانب، والقيادات العربية من جانب آخر. القيادة الإسرائيلية استطاعت أن تُكتّل خلفها ليس فقط المجتمع الإسرائيلى بل جميع القوى اليهودية والمتعاطفة مع الصهيونية فى جميع

---

(1) المقصود به: ما جاء فى توراتهم ـ المحرفة ـ فى سفر التكوين 18/15 {... لنسلك أعطى الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات}.

(*) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

(2) كتاب: «عواصف الحرب وعواصف السلام» الكتاب الثانى ـ محمد حسنين هيكل ـ المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ طبعة دار الشروق ـ القاهرة ـ الطبعة السادسة، عام 1996، ص 377.

أنحاء العالم، بينما القيادة العربية لم تعرف كيف تُصفِّى خلافاتها الجانبية والمؤقتة.

وقد ترتب على ذلك أن أضحى الصراع غير متكافئ الأطراف، فبينما جميع القوى الدولية تقف خلف القضية الصهيونية، لا نجد أى قوة دولية حقيقية تساند القضية العربية. حتى دول العالم الثالث منقسمة على نفسها، بل وحتى الدول الإسلامية نجد منها من حيث الواقع من هو متحالف مع إسرائيل[1] فى مواجهة دول عربية أخرى. المأساة الحقيقية تبرز عندما نجد دولاً عربية تقف من القضية العربية من حيث الواقع موقف التناقض، فلنتذكر سوريا وليبيا من العراق واليمن الجنوبى، بل وإلى حد معين، ليبيا من الصومال، بل وكذلك من السودان.

المتغيرات الداخلية لحقيقة الصراع العربى ـ الإسرائيلى:

الصراع العربى ـ الإسرائيلى متعدد العناصر، إنه ليس صراعًا واحداً، بل هو يتكون من العديد من الصراعات، بحيث يمكن أن يوصف بأنه صراع مركب على أن خطورة هذه الناحية أن كل جزئية من جزئياته مستقلة عن الأخرى، بل ويمكن التعامل معها باستقلال كامل، وهو أمر يثير مشكلة التفاوض بخصوص حل الصراع وأسلوب التفاوض: هل يكون من خلال الخطوة الخطوة، كما فعل «كيسنجر»: أم من خلال أسلوب الصفقة الشاملة؟ كلا الأسلوبين له مخاطره ـ وله مزاياه ـ على أن القاعدة العامة، والتى سوف نراها تفصيلاً فى موضع آخر، أن الطرف الضعيف يجب أن يتجنب أسلوب الخطوة الخطوة، إلا إذا فَرضت عليه الظروف ذلك، كذلك فإن البعض لا يزال يتصور أن الصراع العربى الإسرائيلى يدور حول المشكلة الفلسطينية. وهذا لم يعد صحيحاً، بل إن المشكلة الفلسطينية[2] ليست آخر عناصر هذا الصراع.

ولنذكر بإيجاز أهم عناصر هذا الصراع أو بعبارة أدق أهم التهديدات[3] التى يثيرها

---

(1) مثل تركيا التى أبرمت اتفاقيات عسكرية مع إسرائيل، وتقوم بمناورات مشتركة معها ومع أمريكا.

(2) لكى تدرك أن الصهاينة يحلمون بدولة من النيل إلى الفرات. وتمزيق المنطقة العربية إلى كانتونات طائفية ويدعمهم فى ذلك قوى الاستعمار العالمى، يراجع كتب:

* كيف نفكر استراتيجيًا ـ لواء أ. ح. د. فوزى محمد طايل، مركز الإعلام العربى، القاهرة: 1997.
* النظام السياسى فى إسرائيل ـ لواء أ. ح. فوزى محمد طايل، دار الوفاء 1992.
* قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية ـ أ. د. حامد عبد الله ربيع، دار الوفاء 1998.

(3) «أنتم غير اليهود» للحاخام اليهودى (موريس صموئيل) ص 26 هامش رقم 1، حيث يقول: «نحن اليهود، نحن المدمرون، سوف نبقى مدمرين إلى الأبد. مهما عملنا، فإن ذلك لن يكفى احتياجاتنا ومطالبنا. سوف ندمر؛ لأننا نريد العالم لنا»، كتاب: «حقيقة اليهود» فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعى ـ طبعة ثالثة (الكويت ـ الصفا ـ ص. ب: 22821)، عام 1406هـ ص 57؛ مقدمات العلوم والمناهج «العالم الإسلامى والغزوة الصهيونية». أنور الجندى، ص 245.

هذا الصراع:

أولا ـ خلق عدم الاستقرار فى المنطقة.

ثانيا ـ خلق القطيعة العضوية بين أجزاء الوطن العربى، وبصفة خاصة ما هو شرق سيناء وما هو غربها.

ثالثا ـ اقتطاع أجزاء من الوطن العربى والأرض العربية.

رابعا ـ التهديد بتجزئة الوطن العربى.

خامسا ـ تحويل المنطقة إلى مسرح للاستقطاب الدولى.

سادسا ـ الاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة[1].

سابعا ـ الاعتداء على الحقوق والحريات الفردية للمواطن العربى فى الأرض المحتلة[2].

ثامنا ـ إنكار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

---

(1) «حوارات القدس» عماد الدين أديب. كتاب اليوم ـ دار أخبار اليوم، عدد يناير 1997، ص16 وما بعدها، حديث الشيخ/ عكرمة صبرى، مفتى القدس، حديثه حول الاعتداءات على المسجد ـ الصخرة ـ عام 1982، وحول التخريب تحت المسجد الأقصى ـ حفر الأنفاق بدأ من عام 1967، وتدمير حى المغاربة وغيرها. حتى ص 46.

(2) نفس المصدر السابق ص55 الحديث مع الدكتورة حنان عشراوى ـ حول عملية تفريغ القدس من الفلسطينيين، وفرض الضرائب، ومنع البناء، وهدم البيوت، سن القوانين غير الشرعية، وحتى ص 96 لترى نماذج من الاعتداءات على الحقوق والحريات الفردية للمواطن داخل الأرض المحتلة. «الطريق إلى بيت المقدس» القضية الفلسطينية د. جمال عبد الهادى، طبعة أولى دار الوفاء، 1993، ص164 الفصل 11، المبحث الأول وما بعده.

المبحث الثانى

طبيعة التهديدات لأمن المنطقة العربية

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع :

«**أول هذه التهديدات** : هو خلق عدم الاستقرار فى المنطقة، وهو يدور حول تشجيع عناصر معينة على الخروج عن قواعد التعايش السلمى ـ الذى ساد المنطقة منذ بروز الإسلام وسيطرته على المنطقة ـ حيث التعامل التاريخى ـ خَلَق إطاراً ثابتًا من الممارسات اليومية والجماعية. أحد أدوات عدم الاستقرار أيضًا، الحروب الدورية المتكررة، التى تنتهى بالهزيمة، فإذا بالاضطراب، فضلاً عن مرارة الإخفاق يخلق إطاراً آخر لعدم الاستقرار.

مثل هذه السياسة ـ أى سياسة عدم الاستقرار ـ تتعارض مع مصالح القوى العظمى، وبصفة خاصة غير اليسارية، مصالح الرأسمالية تنبع من مفاهيم مختلفة. الاستقرار هو الذى يُمكّن تلك القوى من الحصول على ثروات المنطقة، لقد وصل الأمر بتلك القوى لأن تتعامل أيضًا مع النظم الدكتاتورية والعسكرية والرجعية المتخلفة، طالما أنها تسمح بذلك الاستقرار وعدم الاضطراب، وبصفة خاصة فى تسيير مرافق الحياة اليومية فى حد أدنى من الفاعلية من جانب والمقتضيات الأمنية من جانب آخر. مصلحة إسرائيل لا تسير فى هذا الخط. إن ما يعنيها هو **التوتر والاضطراب وخلق الفُرقة. استراتيجية التوتر هى التى تتفق مع سياستها؛ لأنها تحقق هدفين:**

الهدف الأول : أنها تسمح لها بالصيد فى الماء العكر.

والهدف الثانى : أنها تخلق مناخًا معيّنًا يسمح لها بالتوسع المتدرج(*). منذ وجود إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط حتى اليوم، لم يمض عام واحد دون صراع بلغ حد الصدام المسلح. والواقع أنه من الناحية التاريخية، فإن هذا الواقع يخالف التقاليد التى عرفتها المنطقة. لقد سبق وذكرنا ذلك، فهذه الأرض التى توجد بها إسرائيل لم تكن فى أى

(*) «إسرائيل بين اليهودية والصهيونية» روجيه جارودى ـ ترجمة حسين حيدر، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة أولى 1990، ص 154 تحت عنوان: سياسة إسرائيل الخارجية (النزعة التوسعية)؛ أهداف إسرائيل التوسعية، لواء أركان حرب محمود شيت خطاب.

مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً للقلاقل والاضطرابات وهى اليوم تقوم بوظيفة تفجير قلب منطقة الشرق الأوسط.

ثانى هذه التهديدات: خلق القطيعة المكانية، فالتواصل المكانى بين منطقة المشرق العربى والمغرب العربى عَبْر شبه جزيرة سيناء وشمال الدلتا ظل طيلة تاريخ المنطقة ـ وبصفة خاصة منذ فتح مصر، فى عهد عمر بن الخطاب ـ قاعدة مطلقة. كان الحاج يخرج على قدميه من المغرب حتى الحجاز دون أى عقبة حقيقية. حتى فى فترة الحروب الصليبية، فإن الاستعمار الخارجى ظل متمركزاً على الشاطئ دون أن يتوغل فى العمق، فقط منذ الاستعمار الإسرائيلى حدثت تلك القطيعة، بل إن القيادة التاريخية الإسرائيلية كانت تضع ذلك الهدف فى حسبانها منذ البداية. إنها تريد أن تخلق على حدود مصر الشرقية دولة[1] تعزلها عن باقى العالم العربى فيما هو أبعد من منطقة سيناء. هذا الهدف الذى أعلنه بصراحة «بالمرستون» منذ نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولا يزال «محمد على» يجلس على عرش مصر، هو الذى تبنته السياسة الصهيونية منذ وجودها. عودة إلى التعليمات التى أصدرها «بن جوريون» إلى «موشى دايان» فى حرب 1948 تفصح عن هذه الحقيقة. لقد كان فى إدراكه وصول «دايان» إلى خليج العقبة أهم من استيلائه على القدس رغم أهميتها التاريخية فى الوجدان اليهودى.

التهديد الثالث : وهو المرتبط باقتطاع أجزاء من الوطن العربى، ومن الأرض العربية. لقد اقتطعت إسرائيل جزءاً من الأرض العربية باسم: «أرض إسرائيل، وهى تستند فى ذلك إلى الوعد الإلهى[2]، على أن الواقع أن إسرائيل وقيادتها حتى اليوم لم تعلن أو تحدد حدودها الدولية؛ لأن هذه الحدود لن ترسمها إلا لغة القوة، ولنتذكر بهذا الخصوص أمرين:

الأول ـ أنه فى الوقت الذى تمت فيه تصفية الاستعمار فى جميع أنحاء العالم تقريباً، تبرز إسرائيل كتعبير عن المفهوم الاستعمارى التقليدى رغم جميع المسميات.

الأمر الثانى ـ أن الاستيلاء على أرض الآخرين بقوة السلاح هو مخالفة صريحة لميثاق الأمم المتحدة[3] ولجميع الوثائق الدولية. كذلك فإن القيادة الإسرائيلية تعلم جيداً أن هذه

---

(1) هذه الدولة هى إسرائيل الكبرى، التى تريد تحقيقها حسب توراتهم ـ المحرفة ـ من النيل إلى الفرات.

(2) التوراة سفر التكوين 18/15: «وفى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ـ إبراهيم ـ عهداً لنسلك أعطى الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات». وإبراهيم ـ عليه السلام ـ نبى مسلم قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ البقرة/ 130، 131. والنبى المسلم لا يرثه الكافر، بل ورثته هم المسلمون. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران/ 67.

(3) الأمم المتحدة وهى وليدة اليهودية العالمية وأحد أدواتها التنفيذية، من ماسونية وصهيونية وجمعيات يهودية أخرى... فهى من صنع اليهود للسيطرة على العالم. راجع كتاب «إسرائيل والتلمود» إبراهيم خليل أحمد ـ دار المنار 1990 ـ ص 126.

السياسة التوسعية مقيدة بعدة اعتبارات:

أولا ـ أن إسرائيل ـ فى واقعها الحالى ـ محكوم عليها إن لم يكن بالاختفاء فبأن تتحول إلى دولة شبح. الدول المهيمنة هى فقط الدول الكبرى، وإذا كانت القيادة الإسرائيلية تخطط لتجعل من تلك الدولة قدرة متسلطة ومتحكمة فى المنطقة، فإن ذلك مقيد بالتوسع الإقليمى، وذلك التوسع لن يكون إلا على حساب الأرض العربية.

ثانيا ـ كذلك فهى دولة محاطة بعداوة ثابتة ـ تقف منها موقف الرفض ـ بل والرفض العنيد. مثل هذا الرفض لا يمكن وضع حد له إلا بالتوسع الإقليمى؛ الذى أساسه تحطيم العداوة المجاورة، وتطويع تلك الإرادة، من خلال اقتطاع أجزاء من تلك الأرض المحيطة، الأمر الذى يعنى خلق حالة إذلال جماعية لها نتائجها على الأقل فى الأمد القريب.

ثالثا ـ كذلك فإن إسرائيل تعيش على أرض فقيرة، وهى لن تستطيع أن تعوض فقرها الطبيعى إلا بالتوسع، وبصفة خاصة بالتوجه نحو الأجزاء الغنية المحيطة بها، سواء كان ذلك فى اتجاه أرض البترول والمعادن، أو الأرض الزراعية.

رابعا ـ أضف إلى ذلك أن إسرائيل تجعل سنداً لها ولتقوية وجودها فى مواجهة منطقة تملك الكثير من عناصر الإغراء خدمة للقوى العظمى. إنها توظف التواجد الصهيونى لصالح القوى العظمى الكبرى، المتحكمة فى مصير الأسرة الدولية. وهى لتستطيع ذلك فى حاجة إلى التوسع ولو بحدود؛ لأن ذلك التوسع لابد وأن يزيد من فاعليتها، وتاريخ إسرائيل منذ وجودها حتى اليوم يقطع بذلك.

التهديد الرابع : يدور حول تجزئة الوطن العربى، فإسرائيل دولة صغيرة، ورغم جميع عناصر القوة الحقيقية أو المصطنعة التى اكتسبتها تظل كذلك، وهى لتضمن بقاءها أولاً. وسيطرتها على المنطقة ثانياً، واستيعابها فى النظام الإقليمى للمنطقة ثالثًا، ولتستطيع أن تتحدث وتتعامل مع القوى الدولية الكبرى باسم المنطقة أو لتوظيف وجودها فى المنطقة رابعًا، ليس أمامها سوى أسلوب واحد، وهو تجزئة العالم العربى، أو بعبارة أكثر دقة بتقنة المنطقة. إن توحيد العالم العربى ـ وعلى مستوى التعامل الدولى، بل كل خطوة نحو التعاون الحقيقى فى العالم العربى ـ هو مسمار يُدَق فى نعش الدولة اليهودية، تجزئة العالم العربى مشكلة ليست معقدة، بل وتملك مسالكها الواضحة.

السهولة مردها ثلاثة متغيرات :

الأول ـ عدم تحقق بُعد الوعى الكامل لدى المواطن العادى ـ بعمق الانتماء العربى. الانتماء القومى لا يزال تعبيراً عن حقيقة ثقافية، ورغم أن التطور خلال الأعوام الأخيرة هو بهذا المعنى، أى بمعنى نزول هذا الوعى إلى رجل الشارع إلا أن التطوير لم يكتمل بعد.

الثاني ـ ولعل هذا هو السبب الحقيقي، ويدور حول عدم الرؤية الواضحة المتكاملة لفلسفة الوحدة العربية. هذه الفلسفة لا تزال تتوزع بين أحاديث الصحافة والإعلام الجماهيري بما جُبلَت عليه من سطحية. وكتّاب الصالونات الذين يعيشون في وهم حقيقي ولا يزالون يمارسون لعبة الكذب وتجارة الفكر ـ التي محورها بيع الذات، ثم علينا أن نضيف في الفترة الأخيرة قادة البحوث المشتركة الذين لا يملكون أي قدرة أو براعة سوى لعبة العلاقات العامة، وهم يعتقدون أن حَمْل شهادة من إحدى الجامعات هي تصريح بالنبوغ والصلاحية، وتحت غطاء هذه العلمية استطاعوا أن يملؤوا أذهاننا بقسم ضخم من التفاهات. لا تزال فلسفة الوحدة العربية تبحث عن عملاقها المفكر.

الثالث ـ وهو أنانية الطبقات الحاكمة التي لم يعد يعنيها سوى أن تظل في كرسي السلطة[1]. في هذا الإطار العام للواقع العربي المعاصر، فإن تدعيم مفهوم الدولة الطائفية أو دولة الأقليات. والواقع العربي يعيش الدولة الشعوبية ـ يصير أمراً سهل المنال. محور ذلك الدفاع عن فكرة الدولة الدينية[2]، ليس بمعنى الدولة القومية، ولكن على أساس سيادة

---

(1) وحب الجلوس في كرسي السلطة، هذا أصبح من مميزات النظام العالمي الجديد، وقد حددت معالمه اليهودية العالمية وفق ما سجلته في بروتوكولات حكماء صهيون. البروتوكول الثالث، حيث يقول: «... ولكن الجويم ـ غير اليهود ـ يظنون أن توازنه قوي وثابت، ويأملون أن يستعيدوا توازنه. ولكن ؟؟ بهذا الدستور محميون من الشعب بممثليه الذين يضيّعون أوقاتهم سدى، فرحين بسلطتهم غير المسؤولة وغير المراقبة. وفوق ذلك، فإن سلطتهم ترتكز على الإرهاب السائد في القصور، وهم غير قادرين على الوصول إلى قلوب الشعب، والحكام لا يستطيعون أن يتحدوا لكي يكونوا قوة في وجه مغتصبي السلطة... وسلطة الشعب العمياء اللتين فصلتا إحداهما عن الأخرى، لا قيمة لها؛ لأنها منفصلتان، وهما أيضًا أضل من أعمى بلا عصاه.... وحينما تأتي ساعة سلطتنا العالمية، فإن الوسائل ذاتها تمكننا من أن نقضي على كل من يقف عقبة في طريقنا» بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة وتقديم د. إحسان حقي ـ دار النفائس بيروت. طبعة ثانية 1990 ـ ص 43: 45.

(2) «مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية» ـ المناظرة التي حدثت عام 1992 في معرض الكتاب بالقاهرة ـ مركز الإعلام العربي ـ طبعة أولى عام 1992. لترى الهدف من جهة العلمانيين الذين يشجعون فكرة مقولة: الدولة الدينية.. بدلاً من مقولة: الدولة الإسلامية، وترى المبادئ واضحة من خلال كلام المتناظرين الإسلاميين، وعلى رأسهم الشيخ/ محمد الغزالي. والمستشار/ محمد المأمون الهضيبي من ص31، ص38. تجد في النهاية أن هذه التسمية فكرة علمانية بحتة!!

ـ وفي هذا ـ وحول هذا ـ المسمى يقول الأستاذ/ جمال سلطان في كمتابه «جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ـ مركز الدراسات الإسلامية ـ برمنجهام ـ بريطانيا، طبعة أولى عام 1991 في ص139، وهو يتحدث عن العلمانية، فيقول: «إنها فكرة، كعشرات الأفكار غيرها؛ نجحت أو فشلت في ظل ظروف موضوعية وتاريخية، كانت قائمة في مجتمعها، فبأي سلطان، وبأي عقلانية، تصبح هذه الفكرة عقيدة مقدسة!! تملك من الديمومة الفاعلة والإطلاق ما لا تملكه ـ عندهم ـ الفكرة الدينية الآتية من وحي السماء؟!

الانتماء الطائفى على حساب الانتماء القومى.

وبعبارة أخرى، فإن مقتضى الواقع العربى، أن الانتماء السياسى يملك دوائره الثلاث المتتابعة، من حيث دائرة الاتساع وعمق الانتماء القومى أولاً، ثم الشعوبى ثانيًا، ثم الطائفى ثالثًا، وأخيرًا هذا هو تاريخنا تأتى الأنانيات الحاكمة المعاصرة فترفع الانتماء الشعوبى للمرتبة الأولى، فإذا به ينفى الانتماء القومى أو يزحزحه إلى مرتبة أسفل. عملية التفتيت والتجزئة لا تتضمن أكثر من نفس الممارسة فى العلاقة بين الانتماء الشعوبى والانتماء الطائفى، زحزحة الأول لصالح الثانى، فإذا بالعلاقة الطائفية والولاء الطائفى يَجُبّ كلا الولاء الشعوبى والولاء القومى، وهذا ما حدث ويحدث أمام عيوننا فى لبنان.

مثل هذه السياسة ليست جديدة فى المنطقة، وسبق واستخدمتها الدبلوماسية الفرنسية فى تدعيم تواجدها فى سوريا، ولو استطاعت إسرائيل أن توسع هذا المفهوم وتعميد صياغته، لتجعل منه أساسًا لسياسة مستقبلية لإحالة المنطقة إلى دويلات صغيرة وكيانات هشة تتميز هى ـ أى إسرائيل ـ فيما بينها بأنها الوحيدة ذات التقدم التكنولوجى وأكثر من تقرير واحد يُنسب إلى كُتّاب مسؤولين، يعلن عن إرادة إسرائيل فى تطبيق ذلك المفهوم على جميع أجزاء المنطقة العربية. ليست فقط الدول المعروفة بتنافر أجزائها كسوريا والعراق ـ بل والدول ذات التماسك التقليدى كالسعودية ومصر، وذلك دون الحديث عن تلك الدول التى ليس لها تاريخ حقيقى كمجتمعات قومية، ولنذكر على سبيل المثال الأردن وليبيا.

وهنا أى بصدد تجزئة دول العالم العربى[1] يجب أن نلاحظ:

أولا ـ أن هذا التهديد تتفق حوله أهداف جميع السياسات الاستعمارية التقليدية، والتى لا تزال تسيطر بطريقة أو بأخرى على القوى الكبرى، ورغم تظاهرها بعكس ذلك. فأوربا يُسعدها أن ترى الوطن العربى مجموعة دويلات صغيرة لا حول لها ولا قوة، وذلك دون الحديث عن الولايات المتحدة.

ثانيا ـ بل إن نفس السياسة السوفيتية سوف تنظر إلى مثل ذلك التطور بعين الرضا، فهى لا يُسعدها أن توجد على حدودها الجنوبية دولة قوية، لذلك يجب أن نتذكر كيف أن تقاليد السياسة الروسية منذ «كاترين الثانية» تنظر بقلق إلى تكتل أو توحيد للقوى الإسلامية جنوب حدود روسيا العربية.

---

(1) «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية» د. جمال عبد الهادى وآخرون ـ دار الدعوة ـ القاهرة: 1997؛ «ملف إسرائيل» رجاء جارودى، دار القلم ـ القاهرة: 1982؛ وكتاب «أهداف إسرائيل التوسعية» اللواء أركان حرب محمود شيت خطاب، دار الاعتصام، القاهرة.

ثالثا ـ بل إن الدول الإسلامية المحيطة بالجسد العربى سوف تنظر إلى تلك التجزئة بكثير من الارتياح ـ إن لم تعمل ساعية إليها. وهذا يُفسر حدود التوافق بين سياسة إسرائيل وسياسة كل من تركيا وإيران. تجزئة الوطن العربى وإحالته إلى نموذج للقائم حاليًا فى منطقة الخليج سوف تنظر إليه بكثير من الرضا كل من إيران وتركيا، بل سوف تحاول أن تنتزع بعض الأجزاء فى تلك اللحظة. إيران فى منطقة الخليج تعلن أن البحرين جزء منها، تركيا تجد حاليًا من بين أحزابها من يطالب بالموصل فى العراق وحلب فى سوريا.

رابعا ـ على أن مفهوم التجزئة والبلقنة فى التصور الإسرائيلى لن يقتصر على العالم العربى، بل سوف يتعداه إلى جميع أجزاء منطقة الشرق الأوسط بما فى ذلك أجزاؤه غير العربية، من المعروف أن السلطات التركية كشفت عن بعض المخططات الصهيونية لدفع التحركات الشيعية والكردية، ولكنها احتفظت بها لنفسها وإحاطتها بسرية مطلقة، ويقال بأن هذه كانت سببًا فى فتور العلاقات بين «أنقرة وتل أبيب» فى لحظة معينة. الأمر وارد أيضًا بالنسبة لإيران، ولكن ذلك سوف يكون فى مرحلة لاحقة.

خامسا ـ على أنه ليصير هذا الإطار كاملاً يجب أن نتذكر أن الشركات الكبرى المتعددة الجنسية تقف ضد هذا التصور. إنها لا تشجع الوحدة العربية الكاملة، ولكنها تدفع إلى الوحدات الجزئية بخطى حثيثة، بل إنها تعلم أن الأسواق الصغيرة لا تعنيها، ولكنها تريد الأسواق الواسعة ولو نسبيًا. وهى لذلك لا تنظر بعين الاهتمام إلا إلى السوق الذى يتجاوز الثلاثين مليونًا. أو على الأقل يقترب من ذلك. وهى لذلك تصطدم بالسياسة الإسرائيلية. والواقع أن السياسة التى تُشجع عليها «تل أبيب» لابد وأن تصطدم فى لحظة معينة بمصالح الشركات الكبرى المتعددة الجنسية. كيف سوف يتم التوفيق بينهما؟ سؤال سابق لأوانه .

ثم تحدث الدكتور حامد ربيع حول «الوجود الإسرائيلى»، وكذلك عملية الاستقطاب الدولى، واعتبر ذلك مصدرًا من مصادر التهديدات، فقال:

مصدر آخر للتهديد الذى فرضه الوجود الإسرائيلى على الوطن العربى، وهو عملية الاستقطاب الدولى، فالمنطقة العربية لمواجهة إسرائيل فى حاجة إلى أمور ثلاث:

أولا ـ سلاح متقدم.

ثانيا ـ مساندة فى النطاق الدولى.

ثالثا ـ تكنولوجيا تسمح بإلغاء حاجز التخلف.

هذه العناصر الثلاثة لا يمكن أن تقدمها إلا الدول العظمى، وعلى وجه التحديد إحدى

الدولتين الأعظم، وبطبيعة الحال في ظل الموقف الذي تعيشه المنطقة لابد وأن تترتب نتائج معينة:

أ ـ فالولايات المتحدة التي تقف من إسرائيل موقف المتحالف والمؤيد بتعصب، لا يمكن إلا أن تسعى لإجراء عملية توازن بين مصالح الدولة العبرية ومصالح الأمة العربية، وهو توازن لا يمكن إلا أن يكون على حساب مصالح المنطقة العربية.

ب ـ وهذا لابد وأن يخلق رأيًا معارضًا، لذلك يفضل الاعتماد على الاتحاد السوفيتي الذي لابد وأن يعلن عن موقف يختلف عن موقف الولايات المتحدة ولو من حيث الشكل.

جـ ـ وكلاهما ـ بمنطق الدولة العظمى ـ لابد وأن يُجري حسابات معينة لن تكون في جوهرها إلا لصالح هذه أو تلك الدولة العظمى، في مقابل كل مساعدة تقدمها أي من الدولتين لإحدى دول المنطقة، وبصفة خاصة وهي تعيش في حالة تجزئة تسمح وتسهل عملية التلاعب بتلك الدول.

د ـ كذلك يجب أن نلاحظ أن المشكلة بالنسبة للدولتين الأعظم ليست فقط مسألة تعامل دولي، إنها تتضمن كذلك مشكلة داخلية. فالأقلية اليهودية في الولايات المتحدة تمثل ثقلاً معينًا في صنع سياسة «واشنطن»، وموضوع المهاجرين اليهود السوفيت ليست أقل خطورة وأهمية. كذلك يجب أن نتذكر ورقة تُخرجها «تل أبيب» من صناديقها من آن لآخر، وهو عملية التعويض لليهود الذين أخضعوا لعمليات معينة أثناء الحروب العالمية الثانية، سواء في غرب روسيا، أو في شرق أوربا، ومسؤولية موسكو الأدبية والمالية بذلك الخصوص.

وجود إسرائيل في المنطقة ـ وبصفة خاصة بسبب قدرتها على التلاعب بالقوى الدولية ـ فتحَ الباب واسعًا لعملية استقطاب دولية واسعة النطاق، لم تقتصر على الدولتين الأعظم، بل تعدتها إلى كل ذي قوة دولية ذات فاعلية معينة. عملية الاستقطاب هذه كان لابد وأن تجعل الوطن العربي مسرحًا لصراع بين الدولتين الأعظم، حيث تصير المواجهة هي أيضًا في مشاكل لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

كذلك يجب أن نلاحظ أن عملية الاستقطاب لم تقتصر نتائجها على الخلاف العميق بين الدول العربية، ويكفي أن نتصور ونتذكر ـ ليس فقط الموقف من العراق في حربها ضد إيران، بل وقبل ذلك موقف اليمن الجنوبي بصدد الصراع بين الحبشة والدول العربية المحيطة بها: الصومال وجيبوتي والسودان دون الحديث عن إريتريا. لقد ازدادت ضخامة النتائج بسبب عدم قدرة الدبلوماسية العربية على فهم وتطبيق مبدأ توزيع الأدوار في النطاق الدولي، وهو أمر استطاعت وزارة الخارجية الإسرائيلية أن تقدم لنا بخصوصه

نموذجًا جديرًا بالاحتذاء، فعلاقات «تل أبيب» الدبلوماسية المقطوعة مع أغلب دول أوربا الشرقية جعلت الدبلوماسية الصهيونية تدفع بحزب المابام[1] ليؤدى تلك الوظيفة. وفى إفريقيا السوداء كان ذلك من نصيب «الهستدروت». نفس القصة نجدها أيضًا فى الصين.

ولكن هل هذا هو التهديد الأخير؟ ... كلا.

«التهديدات التى خلقتها إسرائيل عديدة لا حصر لها، الخمسة تهديدات السابق ذكرها هى الأكثر وضوحًا، والتى أضحت صارخة للعيان. ولكن هناك تهديدات أخرى ليست أقل خطورة، ولكن لم تبرز بعد فى صورة صريحة.

* **أول هذه التهديدات** يرتبط بحرية الأماكن المقدسة، هذه الأماكن التى ترتبط بالقناعات الإسلامية والمسيحية، وليس فقط الديانة اليهودية خضعت بدورها لاعتداءات متكررة أقلقت جميع القيادات الدينية فى العالم ـ سواء كانت قيادات إسلامية أو كاثوليكية. وقد وصل الأمر بذلك الخصوص أن بعض الدول والقوى الدولية التى تقف من القضية الصهيونية موقف التأييد، لم تتردد بخصوص الأماكن المقدسة من أن ترفع عقيرتها بالصياح، فنتذكر فرنسا ودول أمريكا اللاتينية دون الحديث عن موقف دولة الفاتيكان، يجب أن نلاحظ أيضًا بذلك الخصوص كيف حدث تطور خفى عقب عام 1967 فى القوى الدولية بصدد حماية الأماكن المقدسة، وهو تصوُّر شَمَل أيضًا سياسة الفاتيكان وهو فى جوهره ليس لصالح القضية العربية.

* **ثم يأتى تهديد آخر** يتعلق بحقوق الأفراد المقيمين فى الأرض الفلسطينية، سواء تلك المحتلة عقب حرب 1967 أو قبل ذلك، بل وأولئك الذين أُكرهُوا على مغادرة أرض آبائهم. فدولة إسرائيل لا تحترم المواثيق الدولية[2]، وتخرج على جميع الأعراف بذلك الخصوص، وهو أمر يرتبط بثلاثة نواح:

الأولى ـ وهى الحقوق المدنية بما فيها احترام النصوص والمواثيق الدولية والمرتبطة

---

(1) حزب «المابام» وهو ما يسمى فى إسرائيل: «حزب العمال المتحدون» وحصل على 45 مقعدًا فى الكنيست، أما حزب «ماپاى» وهو ما يسمى: «حزب العمل» وحصل على 46 مقعدًا عام 1949، 45 مقعدًا عام 1951، ثم على 40 مقعدًا 1955، ثم 47 مقعدًا عام 1959، ثم هبط إلى 41 مقعدًا عام 1961: «النظام السياسى فى إسرائيل» لواء أركان حرب دكتور فوزى محمد طايل ـ دار الوفاء ـ طبعة ثانية 1992. تحت عنوان: «ممارسة الأحزاب لنشاطها السياسى» ص110.

(2) اليهود لا يحترمون العهود ولا المواثيق لا دولية ولا إلهية، قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ *﴾ التوبة/ 12. وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ...﴾ البقرة/ 100. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ...﴾ الأنفال/ 56.

باحترام الشخصية الفردية.

الثانية ـ وتدور حول التعويضات التى من حق الأفراد إزاء السلطة الإسرائيلية التى تخرج على المواثيق وتعتدى على تلك الحقوق.

الثالثة ـ وتنبع من أن السلطات الإسرائيلية لا تملك طرد أهالى تلك المنطقة من محل إقامتهم أو منعهم من العودة إليها.

* **تهديد آخر** ولعله أكثر هذه التهديدات وضوحًا ـ وهو التعلق بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره ـ وهو حق سياسى تُسلّم به جميع التقاليد والمواثيق الدولية. وهى بدورها تنقسم إلى عدة عناصر:

أ ـ حق تقرير المصير، أى حق الشعب الفلسطينى فى أن يقرر مصيره، ليس فقط بمعنى الانضمام أو الانطواء تحت سيادة دولة أخرى، بل وبحقه إن رأى ذلك فى الاستقلال وتكوين دولته المتميزة.

ب ـ حق اختيار ممثلى الشعب الفلسطينى.

جـ ـ حق الشعب الفلسطينى بأن يختار صورة وهيكل نظامه السياسى المستقل المعبر عن آماله ومثاليّاته.

هذا هو مجمل محدود وموجز لعناصر التهديد التى خلقها الوجود الإسرائيلى.

وكما هو واضح فى عناصر التهديد، فالبعض منها يتجه إلى الكيان العربى، والبعض إلى الوجود الفلسطينى، ثم هناك عناصر أخرى ترتبط بحقوق الإنسان وحرياته، وعلى وجه التحديد لذلك الإنسان قُدّر له أن يقف فى طريق الغزو والاستعباد الصهيونى، وهو اليوم خاص فقط بالفلسطينيين واللبنانيين، ولكنه غدًا قد يتسع ليشمل أى مواطن عربى فى أى منطقة سوف يقدر لها أن تخضع لعمليات غزو يهودية. هذا التعدد فى العناصر فى الواقع يرتبط بناحية أخرى إن كانت تظل مستقلة ـ وهى دوائر الصراع.

وهذا ما سوف نتعرض له فى مقال على حدة، على أننا ونحن بصدد إنهاء الحديث عن التهديدات التى يخضع لها الوجود العربى من جانب الدولة اليهودية، تركنا جانبًا كل ما له صلة بالأدوات والتعاملات غير الأخلاقية. تركنا جانبا الممارسات المرتبطة بعملية الإفساد والتطويع للإرادة العربية. لم نتعرض لنشر المخدرات، ولا لتشجيع الانحلال الخلقى[1]. ولم

(1) راجع: بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول 12 فى مجال العلاقات الزوجية والروابط الاجتماعية، حيث قال اليهود فى البروتوكول: «سننشر بين الشعوب أدبًا مريضًا قذرًا.... يساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية». وقد تحقق لهم ذلك، فقد جعلوا المرأة آداة للأهواء والرغبات، وخدعوها بشعار «تحرير المرأة» فدمروا نفسيتها، وحطموا أنوثتها، ودفعوها فى الطريق المظلم =

نذكر ولو بكلمة واحدة عملية الاضطراب فى إدارة المرافق القومية، وهى جميعها أمور واضحة فى المخطط الصهيونى. كذلك لم نقف أمام ما يسمى بعملية التسميم الفكرى والغزو المعنوى التى خضعت لها الفئات المثقفة، ولم تترك حتى أساتذة الجامعات ـ والذين للأسف ارتفعوا بسبب ركوب هذه الموجة، ووصلوا إلى مراكز المسؤولية لم نتعرض لهذه النواحى؛ لأنها ـ حتى الآن ـ اقتصرت على قطرين أو ثلاثة، وهى تظل فى دائرة السلوك الفردى غير الواعى، ولكن سوف يكون لنا معها وقفة تأمل فى موقع آخر. والحديث ذو شجون.

= تسعى لكسر حاجز الشرف والعفة والخلق الذى يحمى من السقوط، فانتشر الانحراف وأقراص منع الحمل، والأزياء القصيرة، وغيرها من أنواع التخريب وانتشار المخدرات التى جعلت المجتمع بلا هوية.. مجتمع مقلد لهم فى الفساد فقط، مؤهل للسقوط.

obeikandl.com